تمثلات الحرب في شعر الشواعر العراقيات
(٢٠٠٣ – ٢٠١٣)

د.حـــــذام بـــــدر
كلية العلوم السياسية/جامعة النهرين
Hutham.bader@yahoo.com

ملخص البحث :

بعد الحروب الكثيرة التي مر بها العراق على مدى العقود الأربعة الأخيرة كان للمرأة العراقية بشكل عام ، وللشاعرة بشكل خاص أن تعيش قلقة وخائفة ومرعبة مما يحيط بها من ويلات سببتها تلك الحروب ، خاصة عندما دخلت الحرب إلى كل منزل بالقتل والتهجير والخطف كما شهدته أحداث العراق في السنوات الأخيرة .

وكانت ولا تزال المرأة الخاسر الأكبر في الحروب ، والحرب تعني لها خسارات متكررة أما خسارة حياتها وعائلتها أو الابتعاد عنهم ، وهي تعني أن تمارس عليها ضغوط كبيرة وحجب للحريات بشكل كبير ، هذا الحجب تمثل بما طرح نصر حامد ابو زيد في كتابه (دوائر الخوف) إذ يرى أنه حين ينسدل ستار الركود على عقل الأمة وثقافتها يتمظهر هذا الاحتلال أول ما يتمظهر على المرأة روحا وعقلا وجسدا ، وهذا يعود لكون المرأة الحلقة الأضعف التي يبدأ منها الإنكسار والتراجع الاجتماعي والفكري ، وأن تواتر الهزائم يوقظ النعرات العرقية والطائفية ويبعثها من مرقدها ، وينشط فيها خطابا سلطويا قاهرا عاجزا عن الانصات ورافضا للحوار ، يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة ، ويزعم لنفسه مرجعية عليا مستمدة من السماوي المقدس ، وسواء كان الخطاب سياسيا أم اجتماعيا فالمحصلة هي استبعاد الفرد – رجلا وامرأة– وقهره وفي القهر هذا يقع قهرا مضاعفا للمرأة والطفل معا .وقد تمثلت الشاعرات العراقيات هذه الثيمة ووظفنها بشكل كبير في مجالهن الإبداعي الشعري باستخدامهن مفردة الحرب وما يوازيها ويقابلها ويرمز لها في قصائدهن ،وعبرن عن وجهة نظرهن لما يدور من أحداث للحرب الطائفية في العراق ولهذا اخترت المدة الزمنية بعد

أحداث ٢٠٠٣ ، وانعكاسها السلبي على المرأة والخراب الذي عم العراق وانعدام الأمان والاستقرار فيه .

ورصدت في البحث ثلاث شواعر عراقيات كانت مجاميعهن الشعرية جلها تتحدث عن ثيمة الحرب الطائفية وهن ،ريم قيس كبة في مجموعاتها الثلاث (متى ستصدق باني فراشة – ٢٠٠٥، بيتنا – ٢٠٠٩، البحر يقرأ طالعي –٢٠١٠) .والشاعرة رنا جعفر ياسين في مجموعتيها (مسامير في الذاكرة –٢٠٠٧، والمدهون بما لا نعرفه–٢٠٠٩)،ومجموعة (ولو بعد حين للشاعرة فليحة حسن – ٢٠٠٧). وكانت خطة البحث مقسمة على المباحث الآتية :

١- الشعر والحرب .

٢- المرأة واللغة .

٣- المرأة والحرب .

٤- المرأة الشاعرة بين الحرب وحياتها الاجتماعية .فضلا عن خاتمة وأهم الاستنتاجات التي توصل لها البحث.

مقدمة:

التمثل في اللغة العربية من" مثل يمثل مثولا ، ومثل التماثيل أي صورها ، ومثل الشيء بالشيء أي شبهه به وكذلك من تمثل يتمثل تمثلا ، وتمثل الشيء له يعني تصور له وتشخصه ، وتمثل بالشيء : ضربه مثلا[١] ، وتمثل به : تشبه به فالتمثيل والتمثل متقاربان وهما يشتركان في أمرين : حضور صورة الشيء في الذهن أمام العين أو في الذهن بوساطة الرسم أو النحت أو اللغة أثناء الكلام [٢]، والتمثلات هي الكيفية التي يوظف بها الفرد بصورة شخصية معلوماته السابقة لمواجهة مشكل معين خلال وضعية معينة ، وبعد الحروب الكثيرة التي مر بها العراق على مدى العقود الأربعة الأخيرة كان للمرأة العراقية بشكل عام ، وللشاعرة بشكل خاص أن تعيش قلقة وخائفة ومرعبة مما يحيط بها من ويلات سببتها تلك الحروب ، خاصة

عندما دخلت الحرب إلى كل منزل بالقتل والتهجير والخطف كما شهدته أحداث العراق في السنوات الأخيرة .

وكانت ولا تزال المرأة الخاسر الأكبر في الحروب ، والحرب تعني لها خسارات متكررة أما خسارة حياتها وعائلتها أو الابتعاد عنهم ، وهي تعني أن تمارس عليها ضغوط كبيرة وحجب للحريات بشكل كبير ، هذا الحجب تمثل بما طرحه (نصر حامد ابو زيد في كتابه (دوائر الخوف) إذ يرى أنه حين ينسدل ستار الركود على عقل الأمة وثقافتها يتمظهر هذا الاحتلال أول ما يتمظهر على المرأة روحا وعقلا وجسدا[٣] ، وهذا يعود لكون المرأة الحلقة الأضعف التي يبدأ منها الانكسار والتراجع الاجتماعي والفكري[٤] ، وأن تواتر الهزائم يوقظ النعرات العرقية والطائفية ويبعثها من مرقدها ، وينشط فيها خطابا سلطويا قاهرا عاجزا عن الإنصات ورافضا للحوار ، يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة ، ويزعم لنفسه مرجعية عليا مستمدة من السماوي المقدس ، وسواء كان الخطاب سياسيا أم اجتماعيا فالمحصلة هي استبعاد الفرد–رجلا وامرأة– وقهره وفي القهر هذا يقع قهرا مضاعفا للمرأة والطفل معا[٥] .وقد تمثلت الشاعرات العراقيات هذه الثيمة ووظفنها بشكل كبير في مجالهن الإبداعي الشعري باستخدامهن مفردة الحرب وما يوازيها ويقابلها ويرمز لها في قصائدهن ،وعبرن عن وجهة نظرهن لما يدور من أحداث للحرب الطائفية في العراق ولهذا اخترت المدة الزمنية بعد أحداث ٢٠٠٣ ، وانعكاسها السلبي على المرأة والخراب الذي عم العراق وانعدام الأمان والاستقرار فيه .

الشعر والحرب :

يرى غاستون بوتولان أن الحرب ظاهرة اجتماعية قابلة لأن تكون موضوع مراقبة ، شأنها في ذلك شأن أيَّة ظاهرة أخرى ، تقودنا بالنتيجة إلى تكوين حقل جديد في السيولوجيا[٦] .

والحرب هي أصل الآداب إذ نجد بزوغ كل الملاحم أو الأشعار البطولية كالإلياذة والأوديسة فقد بدأت القصة بكونها رواية فروسية وأنشودة بطولية ، مثل قصائد عنترة أو لانسيلو قبل أن تتناول موضوعات أخرى[٧] .

وإذا كان العلم كما يقول أرسطو يبدأ بالدهشة فإننا مجبورون على الرغم منا أن ندهش بهذه الظاهرة ،وقد عدت الحرب انعكاس دنيوي لصراع الألهة ، وتظهر النصوص الدينية الأشورية أو التوراتية أو الهندوسية بوضوح وجهة النظر هذه ، إلا إن هذه النظرية تبدلت فيما بعد مع ظهور الديانات التوحيدية فأصبحت الحرب حكما إلهياً ، تعاقب العناية الإلهية بوساطتها الأشرار والمتعالين وتؤكد تدخلها القاطع في شؤون الإنسان[٨].

وفي الحرب التقليدية بين دولتين يجتمع الكره والحقد الذي يصب على العدو ونلحظ أن التعاون بين الفريق الواحد في الحرب هو أعلى درجة تعاون وتساند يمكن تصوره بين كائنات واعية متفردة ، إذ أن كلا منها يرضى بالتضحية بحياته من أجل الجماعة[٩]. في حين أن في الحروب الأهلية يرتد الكره إلى الداخل ويوظف داخل شبكة العلاقات المجتمعية ، فكل مواطن هو عدو محتمل للآخر ، مما يولد شروخا في الصلة المجتمعية التي تورث الريبة والحذر ، الخوف والانطواء على الذات ، فينقسم العالم إلى فريقين متناحرين ، ويذهب كل فرد إلى أهله أو إلى جماعته بحثا عن الحماية ، ويشيع الموت على الهوية بدل الأخوة والتعاضد[١٠].

وإذا كان هاجس الهوية هو ما يشغل الحيز الثقافي والسياسي، فإن هناك شخصا منسيا تقع عليه تبعات الحرب وهو المرأة ، إنها الآخر المختلف الذي يجب إقصاؤه لكون الموت نصيبه بالمعنيين الحرفي والمجازي [١١].

هذا ما يخص المرأة بشكل عام أما المرأة الشاعرة فإن الإقصاء قد مورس عليها منذ زمن بعيد ، فقد أسيء إلى المرأة الشاعرة عبر رصد دورها ومشاركتها الفعالة في نظم الشعر عبر العصور المختلفة ، وكانت هناك الكثير من الدراسات الحديثة التي أشارت إلى أن المرأة لم تسهم إسهاما فعالا في حركة الشعر خاصة والأدب عامة ، وإن من برزن من النساء كان أغلبهن ، أو أغلب نتاجهن في شعر الرثاء الذي هو أقرب إلى طبيعة المرأة وعواطفها الجياشة[١٢] وقد يكون السبب ما أوضحته الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي في معرض حديثها عن نسيان الشاعرات العربيات عبر التاريخ إذ تقول: "أحسب أن شعر النساء قد أهمل لأن الشاعرات لم يعنين بموضوع الحماسة هذا ، وربما كانت الخنساء هي الشاعرة الوحيدة التي وصلنا شعرها كاملا ، وذلك على الأغلب لأن شعرها قد كتب على منوال شعر زملائها من الشعراء الرجال ،ميراثها لمقتل شقيقها صخر مفعمة بموضوعات الحماس والفروسية"[١٣] .

في حين ترى بنت الشاطئ "إن بقاء وضع المرأة العربية وآثارها في منطقة الظل سببه أن حركة الجمع والتدوين التي بدأت في العصر الأموي والتي كانت قد بلغت أوجها في العصر العباسي قد تمت على أيدي رجال أمنوا بعقلية مجتمع كان قد حكم على المرأة بالوأد المعنوي بعد أن تم له عزلها عن الحياة العامة في بيوت الحريم"[١٤] .

وأظن أن هذا صحيح تماما ونكاد نلمسه حتى في الشعر النسوي العراقي الحديث ،وفي النقد الموجه نحو هذا الشعر ، ففساد الأنظمة النقدية في الثقافة العربية يسهم

في اقصاء كتابة النساء وتهميشها وتسفيهها ، وهناك خلل في تقييم الإبداع ، إذ يعتمد هذا التقييم في حالات غير قليلة ، وعلى عوامل لا علاقة لها بجوهر الإبداع ، وفي العلاقات والارتياحات الشخصية ، والمنافع الضيقة ، وفي ظل هذا الوضع غير الطبيعي لا يندر أن نجد من برعت من الكاتبات ومن النقاد في عملية تسويق الكاتبة التي تتخذ أشكالا وتجليات مختلفة[١٥] . وأن هناك قصور في التنظير لظاهرة كتابة النساء بيد أن هذا القصور لا يعد كافيا لتبرير نفي الظاهرة ، فاستثمار المؤسسة النقدية الذكورية لمفهوم كتابة النساء واستخدام أداة الإقصاء ، وتسطيح الأدب الذي تنتجه المرأة ، والنظر إليه بوصفة متدنيا ، ولا يرقى في خصائصه الفنية إلى إبداع الرجل الذي فرض هيمنته وتقاليده عبر التاريخ ، ومثل هذا الاستثمار والتشويه يكون طبيعيا في إطار العقلية البطرياركية وجوهرها تهميش المرأة وإبداعها ، وإرغامها على تبني القيم السائدة قيم الوعي البطرياركي[١٦].

وأشاطر ظبية خميس الرأي فيما تراه بأن هناك عدد من الدارسين العرب قد اهتم بتحليل خطاب المبدعة العربية ولا سيما في الرواية والقصة ، إلا إن الشاعرة العربية لم تحظ، بعد بمن يقدم أعمالها عبر رؤية نقدية وتحليلية ، وإن كان هناك اهتمام بما يشبه الرصد التاريخي لأعمالها الشعرية عبر الدراسات التجميعية في الكثير من الكتب[١٧].

المرأة واللغة :

توصلت عالمة الألسنية واللغات (ديبورا تانون) ، إلى استحالة فهم الجنسين لمرامي بعضهما البعض الكلامية ، إذ وجدت أن النساء يتوخين ممن يكلمن التعاطف ويتذمرن استدرارا للشعور بالألفة الجامعة ، ويعتمدن القيل والقال لتكوين الصداقات ، بينما يرمي الرجال إلى إيجاد حلول للمسائل العالقة أو المطروحة ، ويأنفون من الاستماع إلى الآخرين، لأنه يضعهم في موقع تبعية ، بعيدا عن

الصدارة التي ينشدون ، وقد وضعت بعض الدراسات لتبين أهداف الجنسين من توسل اللغة ، وطريقة تعبيرهما وأسلوبهما وتسلسل أفكار كل منهما ، فإذا كانت اللغة هي نموذج اللاوعي ، كما يدعي (لاكان) وأساس في تكوين الشخصية فلابد أن يؤدي التباين اللغوي بين الجنسين إلى اختلافات بينهما تزيد عما نجده بين جنسي الكائنات غير الناطقة[١٨] .

بينما يرى د.عبد النور خراقي أن هناك فوارق لغوية بين النساء والرجال ، ولكنه ينفي أن تكون لكل فريق لغة خاصة به إلا أنهم يختلفون من حيث الأداء اللغوي Linguistic Performance للتعبير عن أغراضهم اليومية ، ولكنهم يتفقون من حيث القدرة اللغوية Linguistic Competence [١٩].

وإذ تقدمنا صوب النظريات النسوية فنراها قد ألقت بظلالها نحو مفهوم الجنوسة وأثرها على اللغة مما أدى إلى أن يتلقفها العديد من الباحثات والباحثين ، فترى روبين لاكوف التي تتزعم مقاربة الهيمنة أن اللغة في بنائها واستعمالها ترسم للنساء وظيفة اجتماعية متواضعة وتلزمهن بأن يرتبطن بها ، فسياسة الجنوسة مثلا مندمجة بطريقة مباشرة في أنساق ضمائر اللغة الانكليزية والعربية ولغات أخرى عديدة ، عبر استعمال المذكر كالتأنيث والتذكير (غير الموسوم نحو : أخذ كل شخص مقعده) ،وهذا يعني هيمنة الرجل على المرأة قد امتد إلى اللغة نفسها[٢٠] ، وهذا موجود في اللغة العربية وقد أثاره عبد الله الغذامي في موضوع فصاحة اللغة فإذا وجدنا جمع إناث بينهم ذكر واحد فالفصاحة تقتضي مخاطبتهن بصيغة المذكر الموجود بينهن لأنه أصل وهن جميعا فرع كما عبر عن ذلك ابن جني في كتابه الشهير الخصائص إذ يقول (تذكير المؤنث واسع جدا ، لأنه رد إلى الأصل) ويضيف (ولن يكون التذكير أصلا إلا إذا كان التأنيث فرعا)[٢١].

ويرى الغذامي أنه لو تيسر للمرأة أن تكتب التاريخ ولم يك ذلك حكرا على الرجل لقرأنا تاريخا مختلفا وفاعلا وستكون للأنوثة قيمة ايجابية مثل الفحولة تماما ، ولكن القائم أن الرجل كتب التاريخ لذا جاء التاريخ رجلا لأنه من إنشاء رجل ، ويكون للتاريخ هنا وجهان أحدهما ما نفترض أنه وقع لأنه سجل وجاء مكتوبا ومفترضا بيقين التسجيل ، والوجه الآخر ما نفترض أنه قابل للوقوع غير أنه لم يسجل فصار كأنه لم يحدث[٢٢] .

ويضيف أن عدو المرأة هو الثقافة حتى العالمية منها التي تمادت في تهميش المرأة على الرغم من أن الدين أنصفها حسب مي زيادة وبنت الشاطي ومي خصوب ، والرجل بثقافته المتوارثة سيطر على اللغة وحرم المرأة من حقوقها الإنسانية في الكتابة بوصايا من المعري وخير الدين بن ابي الثناء في مخطوطته (الإصابة في منع النساء من الكتابة) ،إلا إن توظيف المرأة للكتابة ، وممارستها للخطاب المكتوب بعد عمر مديد من الحكي ، يعني أننا أمام نقلة نوعية في مسألة الإفصاح عن الأنثى ، إذ لم يعد الرجل المتكلم عنها والمفصح عن حقيقتها وصفاتها بل صارت المرأة تتكلم وتشهر عن إفصاحها بالقلم الذي ظل أداة ذكورية على مدى قرون .

وسواء كان التذكير هو الأصل حسب ابن جني أو التأنيث هو الأصل حسب نوال السعدوي فأني أجد أن كتابة المرأة الشاعرة تتطور بشكل كبير، وإذا كان بعض الدارسات أو الدارسين يعيبون قياس لغة المرأة المبدعة على اللغة الإبداعية للذكور، فأنا أجد أن المرأة قد تخلفت عن الرجل في الكتابة لذا يمكن قياس ما تكتبه حسب ما سبقها ، مثلما يمكننا أن نقيس الرواية العربية وهي متاخرة بمراحل على الرواية الغربية السابقة لها من دون أن ينقص من الرواية العربية شيء لاسيما ونحن نشهد تقدمها المتسارع بالقياس على نظيرتها الغربية ، والأمر

منسحب على الشعر النسوي الذي تأخر عن الشعر الذي كتبه الرجل بمراحل لأسباب كثيرة ربما كانت فرجيينيا وولف رصدت المشكلة بشكل معقول جدا في كتابها (غرفة تخص المرء وحده) ، كما أن مي زيادة عبرت عن ذلك عندما قالت :"لو أبدلنا المرأة بالرجل وعاملناه بمثل ما عاملها فحرمناه النور والحرية دهورا ، فأي صورة هزلية ياترى تبقى لنا من ذياك الصنديد المغوار"[٢٣]، نقول على الرغم من الأسباب الكثيرة إلا إننا نجد تقدما ملحوظا للشعر الذي كتبته الشواعر العربيات بصورة عامة والعراقيات بصورة خاصة .

وفي شعر الحرب الذي نحن بصدد الحديث عنه أجد أن هناك تشابها كبيرا بين كتابة المرأة الشاعرة وكتابة الرجل الشاعر ولسنا هنا في معرض المقارنة بينهما ، ولكني أجد إنهما تشابها في طرح المشكلة وتشابهت لغتهما إلى حد بعيد ، كما أننا نلحظ أيضا أن الشاعرة غالبا ما تتكلم بضمير الجمع في خطابها وهي هنا تخص بحديثها الإنسان العراقي (الرجل والمرأة معا) ، وأجد أن الشاعر العراقي لا يختلف كثيرا عن شعورها هذا ،كما نلاحظ يأسهما من مستقبل يحمل بصيص أمل وهما معا يواجهان مصيرا مجهولا ، وما ألفناه من الشعراء في قصائد الحرب التقليدية التي تتضمن المواجهة لعدو معروف لديه أنها تتحدث عن البطولة أو وصف المعركة أو عن مشاعره إزاء الحرب أيّا كانت ، والمرأة وحتى الشاعرة منها يكون دورها بالحرب مختلف فهي غير مشاركة بالحرب بشكل مباشر وإنما تتحدث عن الفقد أو الحرمان التي تشعر به نتيجة غياب الرجل عن البيت أو فقده بالمعركة ، لكن بالحرب الطائفية يكون الطرفان الرجل والمرأة في مواجه واحدة لعدو لا يعرفانه لذا تكون لغتهما واحدة في التعبير عن مشاعرهم ، وهذا مالمسته حين موازنة قصيدة لشاعرة عراقية مع أخرى لشاعر عراقي . تقول الشاعرة (ريم قيس كبة) في قصيدتها (رسائل قصيرة من مدينة مفخخة)[٢٤] :

عشر شوارع مزهوة بالبيوت

ستذبح في العيد

تشوى بنار الطوائف

أشلاء هذي البلاد

لياكلها مارد

طاعن بالحروب

تتحدث ريم قيس كبة عن عشر بيوت عراقية ستذبح بالعيد كشياة يضحى بها من أجل مارد كبير طاعن بالحروب ، والعدد عشرة هنا مجازي للدلالة على أن هناك منهجية للقتل الطائفي المنظم في العراق ، أما المارد الطاعن بالحروب للدلالة على الطاعن في السن وهو كثرة السنين التي عاشها العراق بحروب لدرجة أن مارد الحرب هذا صار طاعنا بالحروب ، تقابلها قصيدة للشاعر (فلاح عدون) يقول في قصيدته (رمق أخير) [٢٥] :

الرصاصة عمياء

الجسد يتلألأ

آخر ما نطق به

لا..

ليست بعمياء

بل حاقدة .

فالشاعر تحدث هنا عن رصاصة عمياء أو هي ربما حاقدة فهي إذن مجهولة منطلقة على جسد إنسان بغية قتله ، فهناك أولا عدو مجهول تحدثت عنه القصيدتان يقوم بقتل ممنهج لأن القتل مرة بعدد عشرة وأخرى برصاصة حاقدة وهناك ثانيا انتظار للموت من دون أي ردة فعل أو دفاع من الضحية فهم كشياة

ستذبح بالعيد حسب ماتراه الشاعرة أو هو جسد تلالا بالدماء السائلة عليه حسب ما يراه الشاعر.

المرأة والحرب :

تقول فرجينيا وولف "أنها تكتب كامرأة نسيت أنها امرأة بحيث أن صفحاتها كانت مليئة بتلك السمة الجنسية القريبة التي لا تأتي إلّا عندما يكون الجنس غير واع بذاته"[٢٦] ، وفي معظم صفحات الغرفة تبدو وولف وهي تجادل بأن النساء يجب أن يكتبن كنساء بطريقة يحددها التمايز الجنسي ، ولكنها عندما تتحرك باتجاه نهاية كتابها تجادل بأن المرأة عندما تكتب ينبغي لها أن تكون غير واعية بجنسها وأن تكون منفتحة على النواحي الذكورية والأنثوية في شخصيتها[٢٧].

وأظن أن الكاتبة أو الشاعرة عندما تكتب عن مشكلاتها الشخصية أو مشكلاتها كأنثى تكتب بطريقة أنثوية أما عندما يكون الأمر أبعد من ذلك ويخص حياة بأكملها وعالم قائم بذاته بما فيهم الرجل والمرأة كموضوعة الحرب فإنها تتخطى أنوثتها ويتماها لديها الشعور بجنسها ، تقول الشاعرة ريم قيس كبة[٢٨] :

حلمنا معا أن تصير المدائن
ساحات رقص
وقلت سيصبح ما قد تهدم من أمنيات
ناطحات سراب
وقلت بأن المدافع ماتت
وأن الحروب تنام طويلاً
وبأسرع من طلقة
مر جيش
وكنا نراوح

بين التغرب والزقزقات

بقينا نفكر

أن القذائف

قد تستحيل نخيلاً

وانتظرنا قليلا

حينما عصفت حربنا الثالثة

لم يعد متسع للتمني

فكنتَ احترفت السكون

وكنتُ احترفت الكارثة.

فهما معا يحلمان بحياة أفضل وأن هناك نهاية لهذه الحروب المتلاحقة ، إلا إن بداية حرب أخرى قبل حتى انتهاء الأخرى واستمرار التدهور الأمني حتى يصبح حربا طائفية قتل الحلم ، ولم يعد هناك متسع لأي أمنية لذا احترف السكون ، أما هي فقد احترفت الكارثة ، وهنا قد نتساءل لما احترف الرجل السكون بينما احترفت المرأة الكارثة ، هل أرادت الشاعرة أن تصف الرجل بما يتوقع منه غالبا في الصعاب من رباطة جاش وحزم وغالبا يعاب عليه أن يجزع أو يصرخ في حين أن المرأة حرة في بيان عواطفها وغليان ثورتها فهي تعبر عن الكارثة بما تشاء من أفعال وأقوال ، أو ربما قصدت بها أن الرجل بعد موت الأماني أصبح سلبي جدا وغير مشارك لدرجة أنه لم يحرك ساكنا واحترف السكون ، بينما كان الثقل كله على المرأة فتراها تتحمل أعباء أخرى فوق أعبائها الكثيرة .

وهذا نراه جليا في قصيدة الشاعرة فليحة حسن (أحبك والوطن ملوث بالحروب)[٢٩]

نتسربل باليأس

منقسمين على أنفسنا

مخضرمو حروب

نتنقل بين (صفعات) التاريخ

دونما بارقة نصر

مدمنو منافي

نتقافز بين الشظايا

فهما معا متلبسون باليأس ، وهما معا منقسمون على أنفسهم ، لأنهم عاشوا حياة طويلة محملة بالحروب ، فهم تارة مخضرمو حروب وهم أخرى مدمنو منافي تتلقفهم البلاد الغريبة ، دونما حتى بارقة أمل ،ونستطيع القول أن المرأة المبدعة كان لديها شعور عارم بضياع حلمها ومستقبلها وضياع حياتها ، تقول الشاعرة رنا جعفر ياسين في قصيدتها (بلادنا العارية) من ديوانها (مسامير في الذاكرة)[٣٠] :

وهذا مسائي عاطل

مثل اللهيب

أشعله بفكرة الحب

فيطفئه خراب الحرب

يخمدنا

لنستوطن طيشا يتشظى

ينجب الضياع.

فالشاعرة ضائعة مثل كل النساء وهي معطلة كمسائها لأنها كلما تشتعل فيها اشراقة حب تنطفئ بالحرب وبلهيبها ، وكلما فكرت ببناء حياة أطفأت الحرب حياتها وحولتها إلى ضياع ،ونلحظ في شعر مرحلة ما بعد الاحتلال التي نخصها بالبحث ، أن هناك الكثير من الشواعر العراقيات قد انصرفن لوصف آثار الحرب

على المرأة والمجتمع ،وتأثير ذلك سلبا على حياتها حتى العاطفية منها واليأس الذي خيم على حياتها لدرجة أنها أصبحت غير موقنة بالمستقبل ولا تشعر بالأمان الذي ممكن أن يشكله لها وجودها في الوطن أو حتى خروجها القسري منه ، وهذا ما نستشعره معا في قصيدة (بيتنا) لريم قيس كبة ، وهو الاسم نفسه الذي أطلقته على مجموعتها الشعرية ، فالعراق بيتها أو هو بيتنا الذي خربته الحروب وهو بيتها أو بيتنا الذي ألفته الحروب تقول[٣١] :

بيتنا ألفته الحروب
فهلاّ تعطلت البوصلة
لا شمال لنا ــ لا جنوب
لا سياج نسد به بابنا
لا سرير بغير الشظايا
ولا سقف يعلو بغير الشهيد.
وما من جديد
سوى بعض حرب
على رأس حرب .

فبيتنا الذي ألفته الحروب وخربته المعارك قد تعطلت به البوصلة حتى صرنا لا نعرف له جنوبا من شمالا ، وما عاد مسيجا بسياج لذا صار عرضة للغزاة والسراق والقتلة ، وما عاد فيه سرير لم تخترقه شظية ، حتى صرنا لا نأمن النوم فيه ، وما سلم أفراد بيت منه من الموت ، وما عاد فيه جديد سوى حرب تتبعها حرب .

ترى (سلفيا بلاث) إن أدوار المبدعة والمرأة غير متكافئين وأن التوتر الذي ينتج عن هذين الدورين المرأة والمبدعة هو مصدر طاقة لقصائدها ، ولكنه أيضا

مصدر تحطيم ذاتي على المستوى الإنساني[٣٢] ، فالحرب أدت إلى تعطيل الحياة وهو نوم الأيام بحسب (علوية صبح)[٣٣] ، وتصف الشاعرة فليحة حسن في قصيدتها (على هامش الحرب) مشاعر كل من ، طفل وبنت ومجموعة من النساء تسميهن نساء الرماد وجندي وطيور إذ تقول[٣٤] :

تلك نجوم

يقول الصغير:

على طائرات تمزق وجه السماء

وتتكلم الشاعرة بلسان طفل صغير يسمي طائرات الحرب التي عبرت سماء مدينته نجوم ،وهو لا يرى من مكائن القتل المخيفة تلك سوى التماعها في السماء ،في حين ينتقل الحديث إلى أخته التي هي على مايبدو أكبر منه وهي تعي مايحصل تقول أخته :"قبل حربين

كنت أوسد رأسي لصدر حنون

ما عدت أذكر

كيف وجدنا عظام القتيل

وكان أبي

يدافع عن بعض أرض سراب

ويسأل ظله؛

لمن هي في الأصل ؟

وقولها قبل حربين دلالة على استمرار الحروب مع استمرار الحياة ، الشاعرة هنا لا تصف الحرب الطائفية فقط وإن كانت قد كتبت القصيدة في ذاك الوقت وإنما هي تعبر عن استمرار الحروب وتستشعر أزمة العراق الحقيقية ، فالأب قتل في معارك يدافع بها عن أرض سراب وهي تعبر هنا عن لاجدوى تلك الحرب وإنها

انتهت بما بدأت به ، وهو يسأل ظله وظله هنا قد يكون نفسه فهو يتساءل مع نفسه هل هذه الحرب مجدية ولمن هذه الأرض التي يطحن الرجال من أجلها ياترى؟ ، وربما هو يسأل زميل له يشاركه عدم المعرفة تلك ولكنه على الرغم من ذلك يقاتل معه ، ولربما قصدت به العدو فهو أيضا مجبر على قتال غير مجدي وهو مثله يتساءل ولكن ما من مجيب . المهم من هذا كله أن الأب قد مات والطفلة ماعادت تسند رأسها على صدره الحنون .

تصيح نساء الرماد:

"تلك بشارات من ضيعوا في ظلام السجون؛

وواحدة تستغيث:

"لم أجده

بلا خوذه راح

وليس له

ما يفرقه

سوى قلبه

كان مثل بلادي

كبير أو يصعب حمله؛

أعادوا رفات الكثير

ولم يرجعوه"

"تلك علامات صبح أفل؛"

تقول التي

لم تزل للآن

تسوي غطاء السرير

وتحلم أن سيجيء بواحدة من ليالي الحنين

تشعل عود الثقاب

تطفئه

"تلك بقايا سنين ذوت"

نلحظ أن هناك ثلاث نساء تكلمن وتسميهن نساء الرماد لأن حياتهن انطفأت ولم تترك سوى الرماد ، واحدة هي من ضاع زوجها أو ابنها في ظلام السجون ، وأخرى هي زوجة أو أم المفقود في المعركة لأنه ما عاد ،ولم يجدوا له جثة مع من وجدوهم من قتلى ، أما الأخيرة فهي زوجة المقتول فهي مازالت تسوي سريرها وتنتظر أن يأتيها حتى ولو في حلم ، وبالتأكيد أن العبارات :

"تلك بشارات من ضيعوا في ظلام السجون؛"

"تلك علامات صبح أفل؛"

"تلك بقايا سنين ذوت"

التي وضعتها الشاعرة بين أقواس صغيرة لها معان محددة فالعبارة الأولى تعبرعن حملات النظام الدكتاتوري بسجن الكثير من الرجال ودفنهم في ظلام السجون وقالت بشارات للدلالة على أن هذا النظام قد سقط وانتهت سنينه ، أما العبارة الأخرى فهي تقصد بها أنها علامات للزمن آخر انتهى مع ذهاب الجنود إلى المعركة وفقدهم هناك ، والعبارة الأخيرة عبرت بأسى كبيرعن أن هذه الأزمان التي انتهت قد أخذت معها سنين حياتنا التي ذوت من دون فرح ، ودليل ذلك ما سيصرخ به الجندي تقول الشاعرة :

يردد من عاد للتو:

"لمن بيع عمري حطب؟

لنار تستعر منذ ثلاثة وعشرين عاما

بدون انتهاء

"تلك مرايا لعمري النخر؛"

فعمره بيع حطب لحرب دامت منذ ١٩٨٠-٢٠٠٣ فهذه السنوات مرآة لعمره المنخور والغريب أن هذه الحرب مستمرة لأنها منذ البداية تقرر ذلك على لسان البنت عندما تقول "منذ حربين"، وهي أيضا تؤكده عندما تجعل الطيور تصيح:

تصيح الطيور:

وهي تلاحق سرب (الأباجي)

"أين النوافذ ؟

أين النوافذ؟

أين النوافذ؟

نريد الهواء؛"

والأباجي هو نوع من الطائرات المروحية التي استخدمها الأمريكان في احتلال العراق ، لذا فإن الطيور هي أيضا تستغيث لأنها لم تعد قادرة على التنفس ، لذا فقولها أين الهواء الذي تكرر ثلاث مرات كان صرخة استنجاد كبيرة لأن العراق أصبح بلد غير صالح للعيش ، فالرجال والنساء والأطفال وحتى الحيوانات غير قادرة على العيش فيه فهو بلد يعيش على هامش الحرب وهذا يعود بنا إلى عنوان القصيدة .

ترى (سيمون دي بفوار) إننا لا يمكننا الفصل بين حياة الأديب أو الأديبة والنص المكتوب[٣٥] ، لذا لا يمكننا الفصل بين الشاعرة العراقية ونصها الذي أنتجته في الحرب وما كان ما ينتابها من خوف وتشظي ، فالمرأة تكاد تكون اشد خوفا من الرجل لأن هويتها أقل وحقوقها العامة والخاصة أقل على حد تعبير (نوال السعداوي)[٣٦] .

لذا كانت الشاعرة العراقية خير من عبر عن الحرب والخوف تقول ريم قيس كبة في قصيدة (أرق) التي تستشعر بها المنفى وتأثيره على الذات الإنسانية وما يشكله القلق على الرغم من خروجه من دائرة الموت تقول[٣٧] :

كنت أنام بكل موتي

لكي لا يفاجئني الموت

كل صباح

وصرت هنا

لا أنام

وصار السرير قلق

وتقول في قصيدة (رسالة من مدينة مفخخة)[٣٨] وهي تتابع ما تبثه القنوات الفضائية من أخبار العراق ، وتقارن بين ما يراه الآخرون في الخبر وما تراه هي :

كانا قراد يموت

ففي أخر النشرة الدموية

نلمح بغداد

أشلاء سيارة

كان فيها قبيل ثوان

أب

أو بيوت

بكف وحيدة

ستلطم خد الذهول

بكف وحيدة

ستحمل نعش أخيك

بكف وحيدة

ستكتب أختك

أو من تبقى

بشارع هذا الخراب

من أول القصيدة تقول الشاعرة (كانا قراد يموت) وهو دليل على أن لا أحد يهتم بموت العراقيين ، فكأننا حشرات تموت بالجملة ،ثم تذكر صورة لبغداد التي جاءت بآخر النشرة الاخبارية وتأكيد الشاعرة على كلمة بآخر النشرة للدلالة على عدم أهمية الأمر بالنسبة للعالم ، وبغداد تلك هي عبارة عن أشلاء لسيارة مدمرة ، لكنها بالنسبة للشاعرة هي لأب مقتول وحزن يغشى بيوتا كثيرة ، وكذلك تاكيد الشاعرة الكف الوحيدة التي ستحمل بها نعش أخيك أي أنك هنا أيها العراقي وحيد ليس هناك من سيعينك المفردة ماخوذة من مثل شعبي (اليد الواحدة لا تصفق) للتعبير عن التعاون والتازر الذي يجب أن يقوم الناس به ، وهي هنا تؤكد أن العالم يتفرج على موتنا بنشرات الأخبار ولا يحرك ساكنا ، هذا كل مايمكنه أن يقدم إليك خبر في نشرة الأخبار تبثه المحطات الفضائية ،لذا ستلطم خد الذهول بكف وحيدة ، وستحمل نعش أخيك بكف وحيدة . أو قولها في قصيدة أخرى[٣٩] للتعبير عن كثرة الضحايا :

لم تعد في المدينة مقبرة

كل أرض السلام

غدت رقعة من رخام

لقبر العراق

في كل ليلٍ

سيطفأ بيت جديد.

ليس هناك مقبرة في أرض السلام ، وأرض السلام هي اسم آخر لبغداد والشاعرة عندما تضع هذا الاسم فهي تسخر سخرية مريرة من الاسم لأنه لم يعد ينطبق على المدينة ، فكل يوم ينطفئ بيت وتنطفئ فيه شعلة الحياة كل يوم هناك قتيل سيدفن في قبر كبير اسمه العراق ،وتعود لتؤكد الحرب الطائفية وما تركته من حقد أشعل نيران الثأر تقول[٤٠] :

كلما سجل الموت رقما

تصاعد في البيت ثأر

سيحصد منا المزيد

فكلما قتل فرد من طائفة قتل أفراد من طائفة أخرى وهكذا دواليك حتى يزداد أعداد الضحايا كل يوم ، ونلاحظ أيضا أن هناك بكاء دائم على العراق وربط ما يحدث في العراق الآن بتاريخ العراق الطويل المليء بالحروب والنكبات ، تقول :

بلد الجنائز ياعراق

من أول التاريخ حتى آخر العبوات

تنزف ياعراق

الشاعرة تبكي وطنها الذي ألفته الحروب ، فهو مقبرة كبيرة تارة وهو فهو بلد للجنائز تارة أخرى ، فمنذ الأزل والعراق يشهد مراحل من البطش والحروب والإبادة التي لا تنتهي وهو غالبا مستمر بالنزيف حتى اتقن أهله حرفة الحزن والبكاء واتقن حتى حرفة الموت ، تقول الشاعرة فليحة حسن :

من عهد بابل والنشيج مدون في قامتي

حزني توغل في متاهات القدم

قلت انتظرني لحظة

ترى ستخرج من مساماتي الجنائز

آخر الشهقات

زفرة أخرى وتتحد النعوش

وسيثأر الموتى من السبي الأخير

تتحدث الشاعرة عن الموت الأزلي الذي غلفنا منذ أول الخليقة لحد الآن من عهد بابل والبكاء على تموز هو ديدننا وننشج دائما والجنائز سائرة حتى تكاد تتحد لكثرتها ..أما كبة فهي تصف أعمارنا التي انتهت بتوالي الحروب الكثيرة فتقول:

ملابسنا

كفن للبلاد

تخاط باعمارنا

الشاعرة تتكلم بلسان حالنا نحن أبناء الحروب المستمرة فمنذ نعومة أظفارنا ونحن نشهد حربا بعد حرب فبالتأكيد ستكون أثوابنا كفن لهذه البلاد يخاط بعمرنا ، وهي لا تفتا من وصف بلادها بالعروس السائرة إلى الموت تقول :

بلادي عروس

تزف بأحلى الطقوس

إلى المقبرة

فهناك بكاء مستمر وحب مستفيض ويأس كامن في كلماتها في أن هذه البلاد لايمكن أن تكون مكان آمن صالح للعيش.

هو الموت اول أسمائنا

والحياة

تقارعه بحياء

نحن نتصارع منذ الولادة مع الموت ان يعش العراقي أيًّا كان رجلا ام امرأة طفلا أم شيخا لافرق ان يعيش أو ان يستمر بالعيش هو أمر بغاية الصعوبة فالحياة

تقارع ذاك الموت باستحياء لأنه الأصل هو أول اسمائنا ، ثم تسخر الشاعرة من سياسي الدولة عندما لا تجد فيهم من يهتم لايقاف هذا النزيف المستمر إذ تقول:

هو الموت منهمك

بالحصاد

ورب البلاد

منهمك

بالخطابة والأقنعة

تختتم الشاعرة قصيدتها في بحثها غير المجدي عن السبب الرئيس لهذه الحروب أو المسؤول عن تكرار هذه الحروب وضياع اعمارنا ومصيرنا معا ، فلا تجد من مسوغ إلَّا اعتقادها أن قدرنا هو من يسوقنا إلى الموت لأننا عراقيون، لذا تضع علامة سؤال في غير موضعها لكونها أرادت أن تقول الأننا عراقيون يكون هذا قدرنا ومصيرنا .

لمن وضد من

نسجل البلاغ عن حروبنا

وعن دم يراق

هل ضد مجهول؟

أم ضد مسؤول؟

أم ضد مخبول؟

أم ضدنا ؟

لأننا عراق؟

المرأة الشاعرة بين الحرب وحياتها الاجتماعية :

وظفت الشواعر العراقيات الحرب وربطنها بكثير من الثيمات في شعرهن لا سيما التي كانت لها مساس مباشر بحياتها الاجتماعية ومن هذه الثيمات (الحب) فعلى الرغم ما تتركه الحرب من دمار حتى أنه يحيل الحياة إلى جحيم تام ، إلا إن الإنسان ، غالبا ما يبحث عن متنفس ما يسد به رمق الجوع العاطفي الذي تسببه له المآسي المكررة ، وهذا حصل فعلا وأكدته قصائد الشواعر العراقيات ، فعلى الرغم من جحيم الحرب إلا إن الشاعرة قد مزجت بشكل جميل وسلس ما بين الحب والحرب معا ، وأرى أن الشاعرة العراقية كانت تجد في كتابة الشعر متنفسا عما تلاقيه في الحرب وتجد في الحب سلاحا آخر تدافع به المرأة ضد الحرب وما تمثله من قتل وكره ودمار ، لذا يصبح الحب نشيدها الذي تسترد به إنسانيتها وتعادل به كفة الضغينة والأحقاد ، وهذا ما تراه ريم قيس كبة ففي لقاء معها تقول "لم أجد شيئا أكثر تعبيرا للإنسان غير القدرة على الحب. كتبت لفيروز.. للورد.. للفراشات..للعصافير والسماء الصافية رغم القذائف!! قالوا لي ذات مرة: كيف تكتبين للحب، الّا تعيشين في العراق؟ قلت أنني أعيش فيه للحد الذي أنا مصرة فيه على العيش ولا أستطيع أن أدافع عن إنسانيتي بطريقة أفضل من التسلح بدفق الحب وقوته، فحينما نصاب بخيبة وطن ربما يكون علينا أن نرطب برذاذ الحب وضماداته شيئا من جفاف إنسانيتنا، ربما كان حلي «فرديا» صرفا وشخصيا، وربما لأن حجم الدمار الذي رأيته بأم مشاعري كان أكبر بكثير من حجم استيعابي"[٤١] .

تقول الشاعرة في إحدى قصائدها [٤٢]:

بغتة

ذات قيلولة للمدافع

مابين حربين

كنا التقينا

فقد عبرت الشاعرة عن زمن التقائها بحبيبها على الرغم من أنه بين حربين وهو بزمن قيلولة المدافع إلاّ انهما التقيا رغم ذلك ، وهذا يدل بأن الحياة مستمرة والحب موجود على الرغم من أنف الحروب ، وغالبا ما وصف الشعراء المرأة بأنها العِرض أو الوطن أو الأرض وهناك ترابط بين المرأة والأرض لدى العربي خاصة فالارض تنبت الزرع والمرأة تلد الأطفال وحتى بالقران الكريم جاء وصف النساء بقوله "نسائكم حرث لكم" البقرة (آية ٢٢٣) ، لذا نجد الشاعرة تمزج مابينها وبين الأرض فتقول[٤٣] :

مازلت تعشقني إذن

وأنا أديمي من تراب

وتراب أرضي من جسد .

لكنهما هنا وحيدان ومثلهما العراق وحيد في مواجهة الموت تقول :

مولاي

سيد خافقي

شكرا لموتك

قيد موتي

لكنني وحدي

ووحدك قامتان

تؤمّنا ريح السكوت

وحدي

ووحدك

وحدنا

ويمسنا برق يموت .

وتبكي الشاعرة حواء العراق التي ماعادت قادرة على الحب أو على الحياة في قصيدتها أسمع طرقا تقول[٤٤] :

من يدق على باب أنثاي ؟

لست هنا!

صوت حواء غادر منذ جراح

وما عاد إلا بقايا بلاد

وعمرا تبعثر نزفا وريشا

أما الشاعرة (فليحة حسن) فقد قامت بتوظيف قصة الأطفال الشهيرة (بياض الثلج) وكيف أن الملكة كانت تقف أمام المرآة لتسالها "يامرآتي من هي أجمل امرأة في العالم" أقول وظفتها بمفارقة كبيرة تقول في قصيدتها (تساؤل)[٤٥] :

ولماذا لا أكتب عني ؟

وأنا منذ وجودي محبوس في قمقم رأسي

أفكر

أن أصلح هذي الهوة

بين الوجه وبين الناس

فيقذفني المنفى

للمنفى

والحرب الأولى

للأخرى

وأعود أيمم وجهي

شطر المرآة

مرآتي

هل يوجد في هذي الأرض

أكثر حزنا مني ؟

فتهز الرأس

بأن (لا)

المعروف عن المرأة اهتمامها بجمالها وتشترك بهذا الكثير من النساء على الأرض ، وهناك علاقة بين المرأة والمرآة لأنها غالبا ما تعكس للمرأة صورتها، حتى أن هناك تشابه لغوي مابين المرأة والمرآة ، إلا إن المرأة العراقية والشاعرة واحدة منهن لم يكن هذا شاغلها فلم تسأل مرآتها عن جمالها ولم تسأل عمن تكون أجمل منها بل سألت مرآتها عن الحزن الذي أصبح ما يميز المرأة العراقية ، فهي تسأل مرآتها هل هناك امرأة أكثر حزنا مني ، وتوكد لها المرآة ذلك فليس هناك من هي أكثر حزنا من العراقية، وإذا كان سؤال الملكة وجواب النفي يفرحها لأنه ليس هناك من هي أجمل منها فإن سؤال العراقية وجواب المرآة بالنفي يزيد هم العراقية لأنه يؤكد لها أنها أكثر امرأة لاقت الحزن والبؤس والنفي .

ومن الثيمات الأخرى (الغربة) ،فالعراقيون أبتلوا بالتشتت بين البلاد لذا نفوا انفسهم في البلاد البعيدة بحثا عن الاستقرار الذي لم يمنحه لهم بلدهم لذا عاشوا بالغربة على الرغم من انوفهم فهم في حنين دائم للعراق ولكنهم غير قادرين على البقاء فيه ،واستلهمت الشاعرة هذه الثيمة ووظفتها في شعرها تقول الشاعرة رنا جعفر ياسين في قصيدتها (بلادنا العارية)[٤٦]:

أنزف وطنا

أبكي اصحابي المفقودين

وكخوف مسموم..

قد تلعقني ألسنة الغربة

أشبه منفى منقوع بالتبغ وصهيل العناد

لا وطن

لا أنتم

تتساوى الغربة مع فقد الأهل والأصدقاء ، والخوف من استمرار الغربة ، حتى أن الشاعرة تصرخ بمتاهاتها القديمة لارجاع وطنها الذي ضاع فضيعها معه تقول في قصيدة (سليل الموت)[٤٧]:

يامتاهاتي القديمة

أعيديني إليّ فقد أضعت دمي

وغيبني صراخ الانتظار

وطني يبعثرني

وعائلتي جدار البيت

أيني؟

أين (نا)؟

وأين ظمائر المتكلمين؟

وأين حدود أحلامي؟

وأين العاشقون؟

وأين تموزي؟

وأين الناس؟أين؟

واين أوصال المدينة؟

أين ذاك الدرب؟

أين الله؟أين؟؟؟

وأين الحب؟

أينك ياحبيبي؟

أصار العشق ،حب الأرض،حب الله...يشبه عثرة في درب جلاد وحاكم؟!

الشاعرة تصرخ بمتاهاتها القديمة بدرب الطفولة أن يعود لأنها انسلخت عن جلدها وما عادت تعرف نفسها ، ضاعت وضيعها وطنها لذلك فهي تصرخ مستفهمة أيني وأين(نا)، أي أين نحن فما عاد العراق يمثل العراقيين ككل ، فأين ضمير المتكلمين ،فهي تستنجد باللغة علها تفهما ما يصيب البلد من هذا التمزق والتشرذم ثم تصرخ مستنجدة بالحب بالعشاق وبتموز وبالناس وبالمدينة التي كانت تحتضنهم وأين الله وتضع ثلاث علامات استفهام لأنها مستغربة –حاشاه– أن يسكت عما يحصل في العراق، ثم أخيرا وأينك حبيبي وهنا تنادي حبيبها الذي تماها بالعراق فصار الوطن حبيبها الذي تناديه من بعيد ، وتتساءل هل صار حب الوطن والدين يعوق الحكم في العراق وهي هنا تعود للحرب الطائفية حيث التنازع باسم الوطن والتنازع باسم الدين بين الطوائف يعوق الأمن في العراق.

وكذلك تحدثت الشاعرة عن (ضياع الطفولة) بسنوات الحرب تقول الشاعرة في قصيدة (بغداد تعويذة للنزيف)[٤٨] :

لما ولدت وجدت أكداسا من الطلقات في مهدي

فكبرت أشهق بالدوي

وخطوتي الأولى على آثار قصف في الجوار

لم أكن أجزع من صفارة الإنذار

وغارات تمزق بالقذائف صمت ذاكرة الطفولة

لم تكن ترعبني عتمة جدران النوافذ

لم أكن في حينها أقوى على سفك الحلم.

الاستنتاجات :

لقد رصد البحث مجموعة من الاستنتاجات يكاد يكون أهمها :

أولا : أنهن استخدمن قصيدة التفعيلة أو قصيدة النثر في التعبير عن هواجسهن ولوعتهن وهذا يعبر عن مواكبتهن للحداثة الشعرية ، فضلا عما يمثله من ثورتها على اللغة وعلى انعدام الأمان الذي كن يشعرن به ، نستطيع القول أن الشاعرة العراقية أفلحت كثيراً في تحقيق المعادلة العسيرة في أن ترى نفسها من الخارج، بوصفها موضوعا شخصية، وكيانا صغيرا ضئيلا ضمن نسق جمالي وثقافي واجتماعي أكبر؛ وفي الآن ذاته، أن تبقى دائمة الوعي بذاتها من الداخل، بوصفها ذاتا ناطقة، وضميرا متكلما، مسلحة بقوّة أحاسيسها، متصالحة مع وعيها الذاتي، في نصّها ويتبين مدى رغبة الشاعرة في محاولتها ولوج شكل تعبيري أخر في كتابة الشعر ، غير الشكل السائد ، فالكتابة بالشكل الجديد للقصيدة كان وما يزال ثورة كبيرة على السائد والمألوف ، والشاعرة اتجهت إلى كتابة هذا الشكل الشعري الذي عثرت فيه على مطلق جمالي مفتوح ، يمزج بين ما هو نثري وما هو شعري، ويضع الشرط الجمالي في مرتبة تالية للرؤية، والتعبير، والحالة، وينفتح أكثر على مكنونات الذات، وجوهر الواقع .

وهذا ما يؤكده صلاح فضل الذي يرى بان قصيدة النثر بخواصها (السردية – الشعرية) أكثر ملائمة للكتابة النسوية، ويشير صلاح فضل إلى ذلك بقوله: "أول ما يتبادر إلى الذهن الآن أن هذا الجنس المهجن الجديد قد أصبح أكثر الأشكال الفنية تلاؤما واتساقا مع (صوت المرأة) الحاد الرفيع، الذي أخذ يشق فضاء الثقافتين العربية والعالمية، ويزاحم أصوات الرجال الجشة وإيقاعاتهم الخشنة المسرفة"[٤٩]

ثانيا : وعندما نستعرض مفردات الشواعر في مجاميعهن الشعرية :

نرى أن ريم قيس كبة في مجموعاتها الثلاث (متى ستصدق باني فراشة – ٢٠٠٥، بيتنا – ٢٠٠٩، البحر يقرأ طالعي –٢٠١٠) كانت تتحدث عن الحرب والفراق والموت والمقابر وما يصاحبها من بكاء وكانت نسبة هذه المفردات هي بالشكل الآتي :

مجموعة (متى ستصدق اني فراشة)الصادر في عام ٢٠٠٥كانت نسبة هذه الكلمات ٢.٤٦٥% من مجموع كلمات المجموعة .

مجموعتها الشعرية (بيتنا) الصادر عام ٢٠٠٩ كانت نسبة هذه الكلمات ٥.٦٦ من مجموع الكلمات في المجموعة .

مجموعتها الشعرية البحر يقرا طالعي الصادر عام ٢٠١٠ .كانت النسبة ١.٦٠٦

مما يدل على أن السنوات من ٢٠٠٥ إلى ٢٠٠٩ التي تم بها كتابة مجموعتها الشعرية بيتنا هي من أكثر السنوات التي كانت بها المرأة الشاعرة تعاني الحرب ، وتستشعرها وتعبر عنها في شعرها ، وهذا ينطبق أيضا على الشاعرة رنا جعفر ياسين التي سجلت أعلى نسبة مفردات الكلمات الدالة على الحرب وما يقابلها من ألم وحزن وفراق وقتل وتدمير ففي مجموعتيها (مسامير في الذاكرة –٢٠٠٧، فقد كانت نسبة المفردات هذه تعطي نسبة ١٣,٥٢٣ من مجموع كلمات المجموعة ،بينما نصوص المدهون بما لا نعرفه–٢٠٠٩ كانت نسبة المفردات ٥,٥٢٢ من مجموع كلمات النصوص النثرية).

ثالثا : يعد العنوان واحداً من أهم الإشارات الدالة على طبيعة الأثر المطبوع وهو مفتاح ذلك النص ، ويمكن للمتلقي أن يرى فيه بطاقة تعريفية موجزة للمادة الموضوعة وهذا ما نراه في العنوانات التي وضعنها الشواعر العراقيات في قصائدهن إذ كانت جل هذه العنوانات تشير إلى الحرب مثل العنوانات التي

وضعتها الشاعرة فليحة حسن لقصائدها في مجموعتها الشعرية (ولو بعد حين) وهي : الشهيد الطفل ،احبك والوطن ملوث بالحروب ، على هامش حرب ،الوجه الآخر للرماد، إينانا والرماد ، كان جنديا ، غربة البيوت ، أو عنوانات الشاعرة رنا جعفر ياسين في مجموعتها الشعرية (مسامير في الذاكرة) وهي : بلادنا العارية ، الحرب تنهض من موتها ، نافذة للحداد ..ونافذة لنا ، أحاصر الطاعون بوردة، بغداد ..تعويذة للنزيف، ختام لوصلة النحيب ، سليل الموت، كومة حرب ، هروب بسرعة رصاصة ، لذاكرة عشق ووردة حرب ، على شفا حطام...وكثير من العنوانات التي تحيل إلى الحرب ، ولها دلالات ورموز متعددة لا تسعها هذه الدراسة وقد تكون دلالة عنوان الحرب عند الشواعر العراقيات هو عنوان لدراسة أخرى مستقلة ..

الاحـــــــــــالات :

[١] . المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٩١ ، المعجم العربي الأساسي لاروس بيروت :ص ١١١٧.

[٢] . علاقة التمثلات بوضعية الانطلاق والأنشطة الديالكتيكية من خلال سيرورة العملية التعليمية أوزي ، عن قنون مجلة علوم التربية ١٩٩٥ : ص٩٩-ص١١١.

[٣] . ينظر : دوائر الخوف ، قراءة في خطاب المرأة ، نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ،ط٤،المغرب ٢٠٠٧ :ص٨٩.

[٤] . ينظر : المصدر نفسه : ص٩١.

[٥] . ينظر : المصدر نفسه : ص ١٨١.

[٦] . ينظر : ظاهرة الحرب ، غاستون بوتول ،تر:إيلي نصار، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت-لبنان،٢٠٠٧: ص١١.

[٧] . المصدر نفسه :ص.١٢

[٨] . المصدر نفسه: ص١٥-١٦

[٩] . المصدر نفسه: ص٣٥.

[١٠] . الحروب والصراعات خطاب المرأة المكتوم،انيسة الامين مرعي ،النسوية العربية رؤية نقدية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان ٢٠١٢:ص٢٥٦

[١١] . ينظر المصدر نفسه :ص٢٥٨

[١٢] . المرأة العربية والإبداع الشعري ، سهام عبد االوهاب الفريح ، دار المدى للثقافة والنشر ،بغداد، ٢٠٠٤:ص٨

[١٣] . ينظر المصدرالسابق : والاحالة إلى سلمى الخضراء الجيوسي ، (مصير الرائدات) في ملخصات ابحاث مؤتمر مرور مئة عام على تحرير المرأة العربية الذي اقامة المجلس الاعلى للثقافة بين ٢٣-٢٨ تشرين الاول /اكتوبر١٩٩٩ :ص٥٤.

[١٤] . ينظر كتاب شعر المرأة العربية المعاصرة ١٩٤٥-١٩٧٠ ، د.رجا سمرين ،دار الحداثة للطباعة والنشر لبنان ١٩٩٠:ص ٧٨.والاحالة إلى كتاب الشاعرة العربية المعاصرة ،د.بنت الشاطئ : ص٥٢

[١٥] . ينظر : غرفة فرجينيا وولف دراسة في كتابة النساء ، رضا الظاهر ، دار المدى ، ٢٠٠١ :ص٩-١٠.

[١٦] . ينظر المصدر السابق :ص ١١-١٢.

[١٧] . الذات الانثوية ، من خلال شاعرات حداثيات في الخليج العربي ،ظبية خميس ،دار المدى ،سوريا – دمشق ١٩٩٧:ص١٥.

[١٨] . النسوية العربية رؤية نقدية ، ينظر معرفة الاختلاف من أجل نسوية فاعلة ، نجلاء حمادة :ص١١٧-١١٨

[١٩] . علاقة اللغة بالجنوسة ، د.عبد النور خراقي ، اصدار المجلة العربية ،المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٢ :ص١٠.

[٢٠] . ينظر :المصدر نفسه:ص٣٤-٣٥.

[٢١] . ينظر : المرأة واللغة ، عبد اللع الغذامي ، المركز الثقافي العربي ،٢٠٠٦:ص١١.
[٢٢] . ينظر : المصدر نفسه :ص١١.
[٢٣] . الاعمال الكاملة ،مي زيادة ، جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري ، مؤسسة نوفل ، بيروت ١٩٨٢:ص ١/٦٥٠
[٢٤] . بيتنا ، ريم قيس كبة ، مركز المحروسة ، القاهرة ، ٢٠٠٩:ص ١٢ .
[٢٥] . دمع خام ، فلاح عدوان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ،٢٠١٢ :ص٧٨.
[٢٦] . غرفة فرجينيا وولف دراسة في كتابة النساء ، رضا الظاهر :ص٤٧.
[٢٧] . ينظر : المصدر نفسه :ص٥٢-٥٣ .
[٢٨] . ريم قيس كبة ، متى ستصدق باني فراشة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠٥ :ص٥.
[٢٩] . ولو بعد حين ، فليحة حسن ، اتحاد الادباء والكتاب في العراق ،بغداد،٢٠٠٧:ص١١.
[٣٠] . مسامير في الذاكرة ،رنا جعفر ياسين ،مركز المحروسة ، القاهرة ،٢٠٠٧ :ص٨ .
[٣١] . بيتنا ، ريم قيس كبة :ص٨.
[٣٢] . الذات الانثوية ، ظبية خميس :ص٢٣.
[٣٣] . النسوية العربية دراسة نقدية:ص٢٥٥.
[٣٤] . ولو بعد حين ، فليحة حسن :ص١٣
[٣٥] . سيمون دي بفوا في كتابها الجنس الآخر : ص٩٣
[٣٦] . ينظر : المرأة والغربة ، د.نوال السعداوي ، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٩٧: ص٥١
[٣٧] . ريم قيس كبة قصيدة :ص٨
[٣٨] . بيتنا ، ريم قيس كبة :ص١٠
[٣٩] . بيتنا ، ريم قيس كبة :ص١١.
[٤٠] . المصدر نفسه :ص١٢.
[٤١] http://www.aawsat.com/details.asp?issueno=9165&article=235492
لقاء مع ريم قيس كبة ،الشرق الاوسط/جريدة العرب الدولية، ٢٠١٢/١١/١٢.
[٤٢] . متى ستصدق باني فراشة : ص٥.
[٤٣] . المصدر نفسه :ص١٣
[٤٤] . بيتنا ، ريم قيس كبة :ص١٦.
[٤٥] . ولو بعد حين : ص٧٦.
[٤٦] . مسامير في الذاكرة :ص٧
[٤٧] . المصدر نفسه :ص٧٣-٧٤
[٤٨] . المصدر نفسه : ص٣٢.
[٤٩] . قراءة الصورة وصور القراءة، صلاح فضل ، دار الشروق، القاهرة١٩٩٧ :١٠٩.

Representation of War in Iraqi Poetesses' Verse (2003 – 2012)

By: Dr. Hutham bader

Al-Nahreen University

College of Political science

Iraq has faced many wars along the past four decades. As a result, its people, especially its women and poetesses specifically have lived in horrible and terrible circumstances. Wars have entered each Iraqi house, from the gates of killing, kidnapping and immigrating.

The woman is still the big loser in these wars, because they have given her successive losses which put huge pressures over her and excluding her rights extensively. This exclusion has been represented through the book of (Fear's Circle) by "Nasr Hamid Abu Zaid". He sees that when nation's mind has suffered from freezing, this will reflect automatically on woman's soul, mind and body, as she is considered as the weakest part who reflects defeat and cognitive social retreat. The repetition of losses awakens racial and tribal ideas and refreshes them with dictatorial speech which refuses to listen to others and rejects conversation. This speech has the concept of definite fact possession, and it assumes having a divine authority. Whether this speech is social or political, the result is enslaving individuals (Man & Woman) and insulting them. This insult will be doubling on woman and child.

Iraqi poetesses have adopted this theme, and functioned it in their creative poetic field through the use of war topic and its equalizes in their poems and expressing their points of view according to what are happening around then, especially the civil violence in Iraq, so I have chosen the

period after 2003 events and its negative reflections on woman and the damage that expands in Iraq with the loss of security and peace.

The research deals with three Iraqi poetesses that their poems concentrate on civil violence in Iraq:

Reem Qais Kubba in her three collections: When will you believe that I'm a butterfly? (2005), Our Home (2009), the sea reads my luck (2010).

Rana Ja'far Taseen in her two collections: Nails in Memory (2007), Painting with Unknown (2009).

Faleeha Hassan in her collection: After a While (2007).

The plan is divided into these topics:

1- War and poetry.
2- Woman and language.
3- Woman and her social life.

The research contains conclusions and summery.